أدوار المعلم المتجددة فى القرن الحادى والعشرين

أ.د./ محمد أمين المفتى

أستاذ المناهج وطرق التدريس
كلية التربية، جامعة عين شمس

"يعبر مضمون هذة الورقة عن رؤية كاتبها ووجهة نظره فى بعض التطورات المعاصرة وما تفرزه من تحديات، ويقترح فى ضوئها بعض أهم أدوار المعلم التى يرى الكاتب ضرورة توافرها فى عمله. بناء على ذلك فهذه الورقة ليست ورقة بحثية تقليدية بالمعنى المتعارف عليها، وإنما هى رؤية للكاتب الذى يرحب بالرؤى الأخرى المخالفة".

مقدمة:

تحتل تنمية الثروة البشرية المرتبة الأولى فى الأهداف الإستراتيجية فى مختلف الدول التى تسعي إلى التقدم، وذلك بعد ما تبين من خلال الخبرات والتجارب المتراكمة لهذه الدول أن الثروات المادية لم تعد السند الوحيد للقوة حيث قد تنخفض قيمتها مستقبلا نتيجة التغيرات التى قد تحدث فى سوق المال وآلياته، أو لأزمات إقتصادية غير متوقعة. أما الثروات الطبيعية فقد تنفد أو يقل نفعها وبالتالى إستخدامها نتيجة إكتشاف ثروات طبيعية أخرى لها قيمة نفعية أكبر، وأكثر فاعلية من حيث الإستخدام. هذا بالإضافة إلى أن البشر هم القادرون على إستثمار كلا من الثروات المادية والطبيعية إذا ما أحسن إعدادهم وتنميتهم علميا وعقليًا.

هذا التوجه يعظم من قيمة الثروة البشرية وأهمية إعدادها وتنميتها. ومن المعلوم أن عملية التربية من أهم الوسائل المنوط بها عملية إعداد البشر وتنمية عقولهم من خلال المؤسسات التعليمية بمراحلها ومناهجها المختلفة وما يجرى من عمليات تعليم وتعلم المسؤل الأول عن إدارتها هوالمعلم.

ومن المعلوم أيضا التربية والمناهج مطالبة بالتطويرتبعا للتطور الحادث على كافة الأصعدة وبالتالى ينبغى أن تتجدد أدوار المعلم وفقا لما يحدث من تطور وتطوير فى القرن الحادى والعشرين، وعلى ذلك لاتتناول هذه الورقة الأدوارالتى ألفناها للمعلم كالتخطيط، وإدارة الفصل، والمشاركة فى النشاط والتقويم، وإنما تتناول الأدوار التى استجدت نتيجة التطورات المعاصرة.

ISSN: 3009-612X E. ISSN: 3009-6146

بناء على ما تقدم فالمسار الفكرى لرؤية كاتب هذه الورقة يتكون من بعدين هما:
البعد الأول: أهم التطورات المعاصرة والتحديات الناجمة عنها.
البعد الثانى: الأدوار المتجددة للمعلم فى ضوء التطورات المعاصرة.

البعد الأول: أهم التطورات المعاصرة والتحديات الناجمة عنها.

التكاثر فى المعرفة من حيث الكم، والتغير فى الكيف والتنظيم:

حدثت منذ سنوات قليلة نسبيا تغيرات كمية فى المعارف نتيجة تراكم وتكاثر سريع فى المعلومات وأسلوب تشغيلها وذلك فى فترات قصيرة وبمعدلات زمنية تتناقص باستمرار، وبالتالى أصبح للمعلومة تاريخ صلاحية تقل فائدتها ونفعها بعد إنقضائه. هذا ما يطلق عليه الكاتب بتقادم المعرفة.

أما من حيث الكيف والتنظيم فقد تغيرت مفاهيم وإستحدثت أخرى فى كافة الفروع المعرفية كما ظهرت أنساقامعرفيةأخرى غير النسق الأحادى للمعرفة Unidiscplinary المألوف وهو عبارة عن جسم من المعلومات ينتمى لأحد الفروع المعرفية. من هذه الأنساق الجديدة الأنساق التجميعية Pluridiscplinary وتهتم بدراسة أحد الموضوعات داخل بعض الأنساق المعرفية الأخرى مثل دراسة إحدى النظريات التربوية أو النفسية داخل أنساق أخرى كالتاريخ، والسياسة، والإقتصاد . والأنساق البينية Interdiscplinary وتهتم بإستخدام وتحويل أسلوب أو طريقة خاصة بنسق معرفى معين إلى نسق معرفى آخر، فمثلا إستخدام أساليب الفيزياء النووية فى الطب يؤدى إلى ظهور أساليب جديدة فى علاج بعض الأمراض ،أو إستخدام الأساليب الرياضية فى الفيزياء يؤدى إلى الفيزياء الرياضية. والأنساق المتعددة Multidiscplinary، وهى الأنساق الناتجة عن تكامل بين أكثر من نسق معرفى فمثلا التكامل بين الفن والتاريخ يظهر تاريخ الفن، والتكامل بين الفلسفة والفن يظهر فلسفة الفن. والأنساق المتعدية أو العابرةTransdiscplinaryوتهتم بدراسة ما بين Between الأنساق المعرفية المختلف وعبرها Across، وما وراءها Beyond

يفرزالتكاثر السريع فى المعارف ظاهرة أطلق عليها الكاتب تقادم المعرفةأى عدم صلاحية المعرفة بعد فترة زمنية معينة وبعدها تصبح غير ذات فائدة لظهور ما هو أحدث وأكثر نفعا، وبالتالى لم تعد الفترة الزمنية التى يقضيها الفرد فى التعليم النظامى كافية لتعلمة المستجدات فى المعارف؛ ذلك لأن المعدل الزمنى الذى تتكاثر فيه المعارف أسرع بكثير من المعدل الزمنى الذى يتم فيه تطويرمناهج التعليم، وكذلك برامج إعداد المعلم فتكون دائما متخلفة عما يستجد في المعرفة.

1- التقدم الهائل فى التكنولوجيا:

أشرنا أنه قد ظهرت فروع معرفية جديدة كما ظهرت الأنساق المعرفية التى سبق الإشارة اليها وصاحبها أو تلاها تطبيقات جديدة فى الأنشطة الحياتية والعمل وتظهر معها مشكلات فترد إلى العلم ليجد الحلول لها، وهذه الحلول تصبح إضافة جديدة للعلم، وتتكرر هذه الدورة (معرفة جديدة. تطبيقات جديدة. مشكلات. حلول. إضافة للعلم) وتظل حلقات هذه السلسلة فى تتابع والمحصلة هى تقدم فى المعارف وتقدم فى التكنولوجية وأساليبها.

ينتج عن التقدم التكنولوجى الهائل المتسارع تفاوت بين المهارات التى يكتسبها الفرد من خلال المناهج الدراسية بالمؤسسات التعليمية، وبين المهارات المطلوبة والمعمول بها فى سوق العمل.

2- هيمنة من ينتج المعرفة والتكنولوجيا ويمتلكها:

أشرنا من قبل إلى التكاثر المعرفى والتقدم التكنولوجى الذى يزامنه أو يليه له تداعيات خطيرة حيث يقسم المجتمع العالمى إلى دول تنتج المعرفة والتكنولوجيا، ودول تستهلكها وتهيمن الأولى على الأخيرة عن طريق المنح أو المنع. وينتج عن هذه الهيمنة سيطرة قوية من الدول المالكة للمعرفة والتكنولوجياعلى الدول التى تستهلكهامما يؤدى إلي إضرار بمصالحها وخضوعها الدائم.

3- **التطور فى أساليب الإتصال:**

ظهرت أجيالا جديدة فى أساليب الإتصال فائقة السرعة مع التكاثر المعرفى والتقدم التكنولوجى وتغلبت على بعدى المسافة والزمن فأصبح عالمنا المترامى الأطراف وكأنه رقعة صغيرة ليس بدلالة وحدات قياس المسافات ولكن بدلالة وحدات قياس السرعة، ووحدات قياس الزمن. فما تلبث أن تظهر الفكرة، أو الإختراع، أوالإكتشاف فى أحد أطراف العالم إلا نجدها وقدإنتقلت إلى بقية أطرافه عن طريق الأقمار الصناعية، أوشبكة الألياف الضوئية، أوالشبكات الدولية للمعلومات في زمن متناهي الصغر.

نتيجة لهذا التطورفى أساليب الإتصال تضاءل بعدى الزمان والمكان وتعرضت المجتمعات لقيم وسلوكيات غير مرغوبة تنتقل اليها من مجتمعات أخرى مما يؤثر بالسلب على أجيالنا التى هى اللبنات المؤسسة للثروة البشرية لمجتمعنا.

4- **ظهور مشكلات مركبة ذات أبعاد متعددة:**

أشرنا إلى ظهور الأنساق المعرفية المختلفة كما أشرنا إلى التقدم التكنولوجى الهائل. هذا قد أفرز مشكلات مركبة متعددة الأبعاد. هذه النوعية من

المشكلات لايمكن حلها بتفكير عقل فردى لكنها تحتاج إلى تفكيرتعاونى بعقل جماعى تقوم به فرق تفكير من العلماء والمفكرين المتخصصين فى الفروع المعرفية المختلفة.

مثل هذه النوعية من المشكلات قد يصعب على أجيالنا حلها لأن إعدادهم من خلال المناهج الدراسية والممارسات التعليمية الفعلية للمعلمين داخل حجرات الدراسة وخارجها لا تعمل علي تنمية القدرة على أسلوب التفكير التعاونى والإستفادة من العقل الجماعى.

5- حركة العولمة:

تنوعت تعريفات العولمة وتعددت حتى قد يصعب تعريفها تعريفا مانعا جامعًا. فمن المنظور الثقافى هى" محاولة التقارب بين الثقافات شعوب العالم بهدف إذابة الفروق الثقافية بينها ومدجها فى ثقافة واحدة لها ملامح وخصائص مشتركة". هذا التعريف يحمل بين ثناياه هيمنة الثقافات الأقوى على الثقافات الأخرى من خلال التفاعل الثقافـــى أو الإمتزاج الثقافي وفى الحالتين تسود ثقافةالدول الأقوى وتبتلع ثقافات الدول الأضعف.

أما العولمة من المنظور الإقتصادى فتعني" تحول العالم إلى منظومة من العلاقات الإقتصادية المتشابكة التى يزداد عمقها بسيادة نظام إجتماعى واحد فى العالم" هذا من شأنه أن يجعل العالم أشبه بسوق كبير تضم أسواقا ذات خصائص ومواصفات تعكس طبيعتها كما تعكس المواصفات التى يفرضها التكامل الإقتصادى.

هذه الحركة لها تداعياتها التى تتمثل فى تغير المفاهيم ونظم وأساليب التعامل فى مختلف مجالات الحياة بما يتوافق مع معطيات العصر الحديث. هذا يستلزم تحديث مجموعة المفاهيم، ونظم، وأساليب العمل وآلياته التى سادت قبل حركة العولمة. كما أفرزت هذه الحركة مجموعة من التحديات لعل من أهمها هيمنة الثقافات الأقوى على غيرها من الثقافات، والسيادة المعرفية والتكنولوجية، والسيطرة على الأسواق الإقتصادية وتهميش الدول الأخرى غير القادرة على الإلتزام بمعايير جودة الإنتاج التى تفرضها منظمة التجارة العالمية.

البعد الثانى: الأدوار المتجددة للمعلم فى ضوء التطورات المعاصرة.

سبقت الإشارة فى البعد الأول من هذه الورقة عن رؤية الكاتب لبعض التطورات المعاصرة والتحديات التى قد تنجم عنها والتى يمكن ترجمتها إلى مجموعة من الفجوات التي تعبر عن التفاوت بين ما يحدث فى العالم المتقدم وبين ما هو كائن فى مجتمعنا.

1- الفجوة المعرفية:

تكونت نتيجة التكاثر والتراكم السريع فى المعرفة، وهى الفجوة بين ما يستجد من معارف وبين محتوى برامج إعداد المعلم قبل الخدمة، وبرامج تدريبه أثناء الخدمة التى لاتواكب المستجدات فى المعارف.

وينبغى أن يؤدى المعلم دور يتمثل فى استخدام المصادر المتنوعة للمعرفة، ويقوم بالإطلاع المستمر كي يواكب المستجدات فى التربويات وفى مجال تخصصه بحيث لايكون هذا الإطلاع لمجرد تحصيل ما يطلع عليه وتخزينه فى عقله، وإنما ليحلل ما يطلع عليه، ويفسره، وينقده، ويذهب إلى ما ورائه. أى أن يقوم بدورالمعلم الباحث، على أن يوظف المعلم حصيلة كل هذا فى تنميتة مهنيا، وفى تعليم طلابه وتربيتهم.

2- الفجوة التكنولوجية:

نتيجة التقدم الهائل فى التكنولوجياوهى الفجوة بين المهارات المطلوبة فى إستخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة فى الواقف التعليمية التعلمية، وبين المهارات التى إكتسبها المعلم لإستخدام بعض الوسائل التعليمية من خلال برامج إعداده.

ولعبور هذه الفجوة علي المعلم أن يأخذ زمام المبادرة ويلعب دور المتعلم فيكون معلما متعلما ويكتسب من خلال التدريب الذاتى المهارات المطلوبة لإستخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة فى المواقف التعليمية دون إنتظار ما قد يحدث من تطوير فى برامج تدريبه أثناء الخدمة.

3- **الفجوة العقلية:**

نتيجة التحديات الناجمة عن ظهور مشكلات مركبة متعددة الأبعاد. وهى تلك الفجوة بين قدرة العقل على التفكير الجماعى التعاونى، وبين قدرته على التفكير الفردى الأحادى.

ولعبور هذه الفجوة -أوعلى الأقل تضييقها - على المعلم أن يلعب عدة أدوار فيكون منسقا، وموجها، مرشدا، ومديرا للوقت. حيث ينسق طلابه فى مجموعات صغيرة تتعلم تعاونيا أوتتعلم من خلال الحل الجماعى للمشكلات أو تتعلم من خلال تنفيذ مشروعات بطريقة جماعية، ويوزع أدوار كل منهم أثناء ذلك، ويوجههم نحو المصادر المتنوعة للمعرفة، ويرشدهم الى المسار الصحيح للتفكير –عندالحاجة- أثناء تعلمهم، ويدير الوقت ويوزعه على المناشط المختلفة أثناء المواقف التعليمية.

4- الفجوة الثقافية:

نتيجة التحديات الناجمة عن التقدم الهائل فى وسائل الإتصال من جهة، والتحديات التي أفرزته حركة العولمة بمنظورها الثقافى. بالتالي فالفجوةالثقافية هى الفجوة بين ما ينقل عبر وسائل الإتصال المتقدمة من اتجاهات، وقيم، وسلوكيات ثقافات المجتمعات الأخرى، وبين اتجاهات، وقيم، وسلوكيات مجتمعنا. وهى أيضا الفجوةبين ثقافة عالمية واحدة، وبين الثقافات المتباينة للمجتمعات.

دور المعلم هنا هو دور المحاور المحلل الناقد المقيم فلا ينبذ لمجرد الإختلاف بين ما لدينا وبين ما ينقل لنا، ولكن عليه أن يتناول ما ينتقل الينا بالتحليل والنقد الموضوعى وتقوم بمحاورة طلابه بمرونة وسعة أفق وإقناعهم بالغث الذى ينبغى أن نتجنبه، وبالثمين الذى نتبناه ونستفيد منه، وبذلك يكسب طلابه القدرة على النقد الموضوعى ووضع الأمور فى نصابها.

على المعلم أيضا أن يقوم بدور المؤرخ فيعرض لطلابه ويحلل ويثمن دور ثقافتنا وما قدمته حضارتنا فى تقدم الحضارات الأخرى مدعما هويتنا الثقافية ومؤكدا على تميزنا الثقافي دون إنغلاق نرجسى على الذات أو إنفتاح غير محسوب.

5- الفجوة الإنتاجية:

نتيجة التحديات الناتجة عن الهيمنة المعرفية والتكنولوجية. وهى الفجوة بين من ينتج المعرفة والتكنولوجيا، وبين من يستهلكها.

دور المعلم هنا هو تنمية قدرة طلابه على إنتاج المعرفة عن طريق تنمية قدراتهم على الذهاب إلى ما وراء المعلومات، والبيانات، والمعارف المعطاة وذلك عن طريق تنمية قدراتهم الفعلية على الإستنتاج، والإستدلال، والإبتكار.

أوضحنا فيما تقدم ما ينبغى أن تكون عليه أدوار المعلم أى ما ينبغى أن يمتلكه من معرفة وما ينبغى أن يؤديه أو يقوم بعمله بناءعلى ما يمتلكه من معارف وذلك فى ضوء التطورات المعاصرة، وغنى عن البيان أن التزام المعلم بأخلاقيات المهنة هوضمان لتأديته أدوارة بكفاءة وفاعلية.

المراجع:

حسين كامل بهاء الدين (2003). مفترق الطرق، وزارة التربية والتعليم –قطاع الكتب.
محمد أمين المفتي (1999). توجهات مقترحة فى تخطيط المناهج لمواجهة العولمة، المؤتمر القومي الحادى عشر، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس،
الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس (2000). المؤتمر القومى الثاني عشر "فرق التفكير ومواجهة المشكلات العالمية".
الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس (2006). توجهات مقترحة لمناهج التعليم لبناء الإنسان العربى فى ظل التغيرات العالمية، المؤتمر القومى الثامن عشر.

ISSN: 3009-612X E. ISSN: 3009-6146